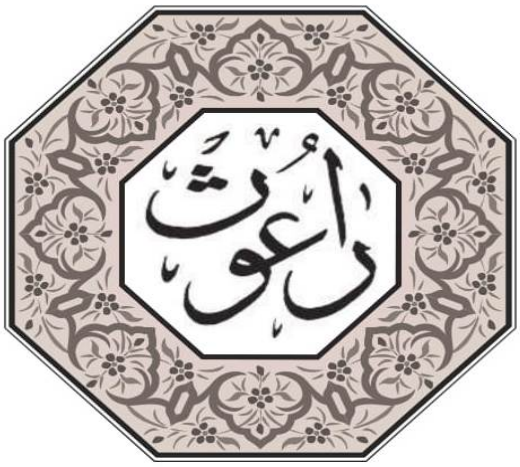

قصّة راعوث المؤمنة الموآبية

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الكلمة © 2020

www.alanbiya.org

مدخل إلى قصّة راعوث المؤمنة الموآبية

هذه القصّة هي لامرأة تدعى راعوث وهي غريبة جاءت من بلاد موآب المملكة القديمة التي كانت تقع في منطقة باتّجاه الجنوب من مدينة عمّان في الأردن. وتركت راعوث شعبها بدافع محبّتها لحماتها ورحلت معها إلى بيت لحم في فلسطين. واعترفت بإيمانها بالله رب العالمين الذي يعبده بنو يعقوب. وحدثت هذه القصّة في زمن الحكام المناصير (القضاة). وفي هذا الزمن وقع أغلب بنو يعقوب في الفساد الديني والأخلاقي. وضلّ الشعب حيث انساق كلّ فرد منه منقادا بأهوائه في حين كان الشعب تحت سطوة قوى أجنبية. وتُقدّم هذه القصّة راعوث المؤمنة كقدوة في الإيمان بالله والوفاء لأسرتها ضمن الظروف الكئيبة آنذاك.

ويبدو جليّا أنّ هذه القصّة قد تمّ تسجيلها بعد مضي وقت على وقوع أحداثها. حيث يحتوي النص على ذكر عادة شعبية وشرحها، وهذه العادة غير معروفة للقراء: ((وفي تلك الأيام، سادت عادة لدى بني يعقوب لإثبات تبادل الملكية، وتتمثّل في أن يخلع البائعُ نعله ويُعطيه للشاري، لتصديق الصفقة أمام الملإ)) [كتاب راعوث 4: 7]. ويأتي ذكر النبي داود في هذه القصّة مع أنه عاش سنوات عديدة بعد زمن راعوث. ويرى بعض الباحثين أن قصّة راعوث سُجلت في زمن حكم الملوك على بني يعقوب، بينما يرى آخرون أنّها سُجّلت إثر عودة بني يعقوب من السبي في بلاد بابل. وزمن العودة من السبي أصدر الحاكمان عَزرا ونَحَمْيا قوانين صارمة بخصوص منع زواج اليهود من المؤابيين وغيرهم من الأغراب (انظر كتاب عزرا الفصلين 9 و 10، وكتاب نحميا 13: 23-29). وربّما يعود سبب رواج هذه القصّة إلى معارضة بعض الأفراد لتزايد التشدّد الوطني بين اليهود ولبيان كيف يرحّب الله بالمؤمنين المخلصين من كلّ الأمم.

وتعرض هذه القصّة المكانة المرموقة التي تحظى بها المرأة عند الله. ورغم ما لقيته المرأة من ظلم وقسوة في المجتمع، إلا أنه بإمكانها أن تنال مرضاة الله بوفائها له تعالى وهكذا تصبح ((خيرا من سبعة بنين)) [كتاب راعوث 4:

15]. لقد كانت راعوث مخلصة لله ووفية لحماتها وشجاعة أمام الشدائد رغم فقرها المدقع. لذلك رزقها الله من الخيرات وجازاها فكانت مع مضي الوقت سالفة النبي داود (عليه السلام) ومن خلاله سالفة للسيد المسيح (سلامُهُ علينا).

بسم الله تبارك وتعالى

قصّة راعوث المؤمنة الموآبية

هجرة عبد الملك وعائلته إلى موآب[٨]

حدث في عهد الحكّام المناصرين لبني يعقوب[٩] أن حلّت مجاعة شديدة على منطقة يهوذا. وكان رجلٌ يدعى عبد الملك يعيش مع زوجته نعمَة وابنَيهِ مَحل وكَليل في بيت لحم في يَهوذا، وكلّهم من عشيرة أفرات. وبسبب شدّة هذه المجاعة اضطروا جميعا إلى الهجرة إلى أرض مُوآب في الضفة الشرقيّة من نهر الأردنّ وأقاموا فيها، وهكذا استقرّوا في بلاد موآب. توفّي بعد فترة من الزمن عبدُ الملك وبقيت زوجته نعمة مع ابنيها، ثمّ تزوّج الولدان ببنتين من موآب، تزوّج كَليل بعُرفة وتزوّج مَحل براعوث. وبعد مرور عشر سنوات تقريبًا على زواجهما ماتا، فبقيت نعمة أمّهما وحيدة دون معيل.

العودة إلى بيت لحم[١]

وعلمت نعمة أنّ الله أنعم على قومها بخيرات كثيرة، فجهزت نفسها وزوجتي ابنَيْها للرحيل عائدات إلى فلسطين. فانطلقنَ وقصدن منطقة يهوذا. وحدث أن توقّفت نعمةُ في الطريق وقالت لأرملتي ابنيها: "إنّ لكلّ واحدةٍ منكما أن تعود إلى أهلها، والله يُحسِن إليكما كما كنتما بي بارّتين، وكما أحسنتُما عشرة ولديّ. عسى الله أن يرزقكما بزوجين يكونان سندًا لكما". ثمّ

---

(٨) استنادا إلى كتاب راعوث 1: 1-5.

(٩) انظر فهرس المصطلحات والأسماء في هذا المجلد.

(١) استنادا إلى كتاب راعوث 1: 6-22.

قبَّلَتهما، فبكينَ بكاء حارّا بسبب الفراق. ثمّ قالت عُرفةُ وراعوث لنعمة: "لن نتركك وحدك، بل سنمضي معكِ إلى قومكِ!" فاعترضت نعمةُ قائلة: "لا يا ابنتيَّ، بل عودا إلى دياركما! فما من داع لترافقاني! إنّي عاجزة على الزواج والإنجاب. ثمّ إن قدّر لي وتزوّجت أفتراكما ستنتظران حتى يكبر أولادي فتتّخذ كلّ واحدة منكما زوجًا لها من بينهم؟ لقد انقضى هذا الزمن وولّى! فعودا إلى بلادكما يا ابنتيَّ. وإنّي لحزينة من أجلكما، إنّ الله ابتلاني فلا أستطيع أن أتكفّل بكما". وبكت النساء بكاء مرّا، وقبّلت عُرفةُ حماتها وودّعَتْها عائدة إلى أهلها، أمّا راعوثُ فتشبّثت بها وظلّت معها.

فقالت نعمة لراعوث: "يا بنيتي ألا ترين أنّ عُرفة عادت إلى أهلها وأربابها؟ ألا فافعلي مثلها ولتعودي أنتِ أيضًا إلى أهلِك". غير أنّ راعوث أجابتها: "لن أُفارقَكِ فلا تحاولي إقناعي! فأينما ذهبتِ أذهبُ وأينما أقَمتِ أُقيمُ. فأهلُكِ الآن أهلي، والله الّذي تعبدينه ربّي! وحيث تموتين أموتُ وأُدفَنُ حيثما تدفنين. وليُعاقبني الله أشدّ عقاب إن تركتُكِ، لا شيء يفرّق بيني وبينك يا أمّاه إلا الموت!" ولمّا لاحظت نعمة أنّ راعوث مصمّمة على مرافقتها قبلت بها، وتابعتا سيرهما حتّى وصلتا بيت لحم، ولمّا دخلتاها ابتهج أهل البلدة وتعالت أصواتهم فرحين وتساءلت النسوة: "أحقّ ما نرى؟! أهذه نعمة أم هي امرأة أخرى؟" فقاطعتهنّ نعمة قائلة: "لا تنادونني نعمة بل أنا مُرّة، لأنّ الله القدير جعل حياتي مُرّةً. لقد غادرتكم ممتلئة هناء وأعادني الله إليكم وحيدة لا شيء معي، فكيف تدعونني نعمة وقد أذلّني الله القدير وابتلاني كلّ هذا الابتلاء؟"

هكذا رجعت نعمةُ من بلاد موآب صحبة راعوث الموآبيّة أرملة ابنها مَحل. وكان وصولهما إلى بيت لحم في بداية موسم حصاد الشعير.

لقاء راعوث بأبي العزّ[٢]

وفي بيت لحم رجل ثريّ واسع النفوذ يدعى أبو العزّ، وكان من أقرباء عبد الملك زوج نعمة الفقيد. وقالت راعوثُ لنعمة ذات يوم: "أرجوكِ أمّاه، اسمحي لي أن أذهب إلى الحقول لعلّهم يسمحون لي أن ألتقط السنابل الّتي

---

[٢] استنادا إلى كتاب راعوث 2: 1-23.

يتركها الحصّادون". فأجابتها: "إذهبي يا بنيتي في أمان الله". واتّجهت راعوث إلى أحد الحقول لتجمع السنابل الّتي خلّفها الحصّادون. وصادف أن كان الحقل الذي دخلته راعوث حقل أبي العزّ.

وبينما كانت منهمكة في جمع السنابل، وصل أبو العزّ قادمًا من بيت لحم، وألقى التحيّة على الحصّادين قائلاً: "أعانكم الله في عملكم!" فأجابوه: "بارك الله فيك" ثمّ دنا من وكيله الذي يشرف على الحصّادين وهمس في أذنه: "مَن تلك الفتاة؟" فأجابه الوكيل: "إنّها فتاةٌ من بلاد موآب قدمت مع نعمة. ووقد جاءت اليوم باكرًا وطلبت مني أن تجمع سنابل الشعير الّتي يخلّفها الحصّادون. ولقد انهمكت، منذ وصولها، في العمل ولم تسترح إلاّ قليلاً".

فذهب إليها أبو العز وقال: "اسمعي يا ابنتي. ابقيْ معنا، فلا حاجة لكِ أن تذهبي إلى حقلٍ آخر لتلتقطي السنابل، ولازمي البنات العاملات اللّواتي يحزمنَ الشعير وسيري خلفهن، وانتبهي إلى المكان الذي يعمل فيه الحصّادون. ولقد أوصيتُهم بأن لا يزعجك أحد. وإذا عطشتِ فاذهبي واشربي من الأوعية الّتي ملأوها". فارتمت راعوث عند قدميه وقالت له: "إني لك ممتنّة فكيف حظيتُ منك بكلّ هذا الاهتمام وأنا امرأة غريبة؟"

فأجابها أبو العزّ: "لقد بلغني ما قمتِ به من أجل حماتكِ بعد وفاة زوجكِ، إذ تركتِ أهلك وبلادك وأقمتِ هنا معها بين قوم غرباء. والله الّذي يعبده قومي بنو يعقوب يجازيكِ على قدر إحسانكِ! نعم، فلينعم عليك الله الذي جئتِ تحتمين تحت ظلّه ورعايته". فقالت له: "أتمنّى أن تدوم لي نعمة رضاك عليّ يا سيّدي، فقد بعثتَ الطمأنينة إلى قلبي وكنتَ معي لطيفا، مع أنّي لستُ واحدةً من خادماتك".

ودعا أبو العز عند الغداء راعوث قائلا: "اقتربي ها هنا وتفضّلي معنا إلى الطعام، واغمسي لُقمتكِ في الخَلّ". فجلست مع الحصّادين وقدّم لها أبو العز فريكًا فأكلت وشبعت واحتفظت بما زاد عن حاجتها. وعادت إلى عملها من جديد، فأوصى أبو العز عمّاله: "لا تمنعوها وإن التقطت السنابل من بين حُزم الشعير. بل انزعوا بعض السنابل من الحُزم عمدًا واتركواها لتلتقطها، ولا تنتهروها".

وظلّت راعوث تلتقط سنابل الشعير في الحقل حتّى المغيب، وعندما فركت

السنابل التي جمعتها، امتلأت قُفّتها! فحملت ما جمعته وعادت إلى حماتها وأرتها كمية الحبوب، وأعطَتها أيضًا الفريك الّذي زاد طعامها. فسألتها نعمة: "من أين جمعتِ كلّ هذا الشعير اليوم؟ وفي أي حقل تحديدا؟ بارك الله في مَن ساعدك!" فأخبرتْها راعوث أنّها عملت في حقل رجل يدعى أبو العزّ. فأجابتها نعمة: "بارك الله فيه، إنّه بهذا يحسن إلينا ويحسن إلى أقاربه الراحلين! إنّه أحد أنسبائنا، ومن واجبه أن يتولّى أمرنا فهو من أبناء عمومتنا!" وأضافت راعوث: "لقد طلب مني أيضا أن ألازم الحصّادين إلى نهاية موسم الحصاد". فقالت لها نعمة: "افعلي ما طلبه منك يا بنيتي، فخير لك أن ترافقي العاملات عنده حتّى نهاية الحصاد، ذلك أنّك إذا اشتغلتِ في حقل آخر قد تتعرضين للمضايقة". فلازمت راعوث العاملات في حقول أبي العزّ وتفانت في التقاط السنابل حتّى نهاية موسم حصاد الشعير، ثمّ فعلت ذلك في موسم حصاد الحنطة في بداية الصيف أيضا، وكانت تقيم حينها مع حماتها.

راعوث في بيدر أبي العزّ[٣]

وقالت ذات يوم نعمة لراعوث: "يا ابنتي، لقد آن الأوان لأزوّجك زوجًا صالحًا يرعاكِ فتنعمين معه بخير. إنّكِ تعلمين أنّ أبا العز نسيبنا، ومن لطفه سمح لك بالتقاط السنابل في حقوله إلى جانب العاملات. وفي هذه الليلة سيُذَرّي بيدر الشعير، فتحمّمي يا ابنتي وتعطَّري والبسي أفخر ثيابكِ. ثمّ انزلي إلى البيدر، ولكن لا تجعليه يشعر بوجودكِ حتى يفرغ من طعامه وشرابه. ثمّ تثبّتي من موضع نومه، فإذا نام فاقتربي منه وارفعي الغطاء من على قدميه وارقدي عندهما طالبةً منه الستر والزواج. سيخبركِ حينها بما عليكِ فعله". فقالت راعوث لنعمة: "حاضر يا أمّاه سأنفّذ كلّ ما امرتني به". واتّجهت راعوث في المساء إلى البيدر ونفّذتْ كلّ ما ذكرته حماتُها. فلمّا أكل أبو العز وشرب وطابت نفسه ذهب لينام قرب كومة الشعير، فتسلّلت إليه راعوث ورفعت الغطاء عن قدميه ونامت عندهما. وعند منتصف الليل أحسّ أبو العز بالبرد فتقلّب، فإذا بامرأةٍ نائمة عند قدميه! فسألها: "مَن

---

[٣] استنادا إلى كتاب راعوث 3: 1-18.

تكونين؟" فأجابت: "أنا راعوث يا سيّدي، وأريد الستر منك فأنت نسيبي وإنّ من واجبك أن تتولّى أمري". فقال لها: "بارك الله فيكِ يا ابنتي! إنّ ما أَظهرتِهِ من وفاء لأقربائكِ الآن أعظم ممّا أظهرتِهِ سابقًا لحماتكِ، لأنَّكِ لم تسعي إلى زوج شابّ فقيرا كان أو غنيّا. فلا عليكِ يا بنيتي! سأقوم بواجبي، إنّ جميع أهل البلدة يعرفون أنّكِ امرأةٌ شريفة عفيفة. نعم أنا من أبناء عمومتك، غير أنّه يوجد مَن هو أقرب منّي إليكِ. فأمضي ليلتك هنا، وفي الصباح سأقابله وسأرى إن كان مستعدًا أن يقوم بواجبه ويتزوّجكِ. فإن قام بواجبه، فقد أحسن وكفى، وإن لم يفعل، فأنا أقسم بالله الحيّ القيوم، أنّي سأقوم بواجبي نحوك، وسأتزوّجك كما تقتضي العادة! فنامي يا بنيّتي إلى الصباح".

وعادت راعوث إلى النوم عند قدميه، ثمّ استيقظت باكرًا قبل انبلاج النور، فقد شاء أبو العزّ أن لا يعلم أحدٌ بقدومها ليلا إلى البيدر. ولكن قبل مغادرتها، قال لها: "هاتي الرداء الّذي عليكِ ومدّيه من طرفَيهِ"، ففعلت فملأه بستّة أكيال شعير ثمّ ساعدها كي تحمله على ظهرها، وعادت إلى حماتها في البلدة. وحين رأتها حماتها سألتها متلهفةً: "حدثيني عن كلّ ما جرى لك يا بنيّتي؟" فشرحت لها راعوث كلّ ما فعله أبو العز، ثمّ أضافت: "ولقد أعطاني هذا الشعير وقال: لا يمكن أن تعودي إلى حماتكِ فارغة اليدين". فأجابتها حماتها: "تريّثي يا بنيتي ولنترقّب ما سيحدث، فلن يهدأ بال الرجل حتى يحسم الأمر اليوم".

أبو العز يتزوج راعوث[٤]

وفي الأثناء، توجّه أبو العز إلى الساحة القضاء عند بوّابة البلدة وجلس هناك منتظرا. وحين مرّ ابن عمّ زوج راعوث، ناداه قائلاً: "أقبل يا صاحبي واجلس هنا". فأقبل عليه الرجل وجلس بقربه. واستدعى أبو العزّ عشرة رجال من شيوخ البلدة وطلب منهم الجلوس إلى جانبه. ثمّ التفت إليه قائلاً: "أنت تعلم أنّ نعمة قريبتنا قد عادت من موآب، وإنّها ترغب في بيع قطعة الأرض الّتي كان يملكها عبد الملك نسيبنا، فرأيتُ أن أطرح الأمر عليك

---

[٤] استنادا إلى كتاب راعوث 4: 1-12.

فأنت أقرب أقربائه ولك الأولويّة في شراء الأرض. فإن أردتَ شراءها فلك ذلك بشهادة هؤلاء الجالسين هنا. وإن لم ترغب، فأخبرني الآن، فأنا الأولى بها من بعدك". فأجابه: "أجل! إنّي أريد شراءها". فال أبو العزّ: "حسنًا، فاعلم أنّ شراء الأرض من نعمة مشروط بزواجك من راعوث الموآبيّة، حتى تنجب منها ولدًا يحمل اسم قريبنا الراحل، يعود له ميراث هذه الأرض في النهاية". فاعترض الرجل قائلا: "فإذا كان الأمر كذلك فسأتخلّى عن حقّي في شراء الأرض، لأن أولادي لا يحقّ لهم أن يرثوها. سأترك لك حقّ الشراء فأنا لا أستطيع أن أتحمّل هذه المسؤولية".

وسادت وفي تلك الأيام عادة عند بني يعقوب لإثبات تبادل الملكية، فقد كان على البائع أن يخلع نعله ويعطيه للشاري، حتى تتمّ الصفقة أمام الملإ. فتخلّى الرجل عن حقّه لأبي العزّ قائلاً: "لك الحقّ أن تشتري الأرض"، وخلع نعله وأعطاه له. فأعلن أبو العزّ للشيوخ ولجميع الحاضرين: "إنّكم اليوم شهودٌ على أنّي اشتريتُ من نعمة جميع أملاك عبد الملك وابنَيهِ كليل ومَحل، واتّخذتُ راعوث الموآبيّة أرملة مَحل زوجةً لي، وهكذا تنجب ولدًا يحمل اسم الراحل ويرث ميراثه، فلا ينقطع ذكره بين إخوته وأهل بلدته. إنكم اليوم على هذا شهود!" فردّد الشيوخ وجميع الحاضرون عند بوّابة البلدة: "أجل! نحن شهودٌ! اللهمّ اجعل هذه الزوجة الّتي ستدخل بيتك كراحيل ولَيئة اللَّتينِ عمّرتا بيت آل يعقوب، وليجعل الله شأنك عظيمًا في عشيرة أفرات، وذكرك مرفوعًا في بيت لحم! وليرزقك الله من هذه الزوجة مثل نسل سلفنا فارص ابن يَهوذا وتامار".

نسل أبي العزّ[٥]

وتزوّج أبو العزّ راعوث ورزقها الله بولد. فقالت نساء البلدة لنعمة: "تبارك الله الّذي لم يحرمكِ وليًّا يرعاك! وليكن شأن هذا الولد عاليا في بني يعقوب! وليُدخل الفرح إلى قلبكِ، ويعوللكِ في شيبتكِ! لقد أحبّتكِ راعوث كثيرًا وهي خيرٌ لكِ من سبعة بنين!" فأخذت نعمة الطفل وحضنته وربّته كابن لها. وقالت الجارات: "لقد رُزقت نعمة ابنا!" وأطلقنَ عليه اسم عُبيد، وهو أبو

---

[٥] استنادا إلى كتاب راعوث 4: 13-22.

يَسَّى أبي النبيّ داود (عليه السّلام).

وهذا نسب سلفهم فارص: فارصُ أنجب حاصر، وحاصر أنجب رامًا، ورامٌ أنجب عَمينادابُ أنجب ناحِش وناحش أنجب سالم وسالم أنجب أبا العزّ، وأبو العزّ أنجب عُبيد، وعُبيدُ أنجب يَسَّى، ويَسَّى أنجب داود (عليه السّلام).